

## أنا وأنت على الطريق الخوف وتربية الأولاد

هل تخافين يا سيدتي؟ وهل تربين في اولادك ظاهرة الخوف السلبية يا ترى؟ تعالي معي نستمع إلى تعريف الخوف وما هو ؟  
هل هو حقيقي أم مجرد وهم؟

يقال إن الخوف هو عاطفة حقيقية لكل إنسان. وعندما يتعدى الحدود يشل الخوف حركة الإنسان ويؤثر على نشاطاته وأعماله. فالخوف يجعلنا نفكر في أمور الحياة بحذر. وقد يطغي علينا بسببه فكر التشاؤم. والإنسان الذي يمتلئ قلبه بالمخاوف لا يعرف أن يتمتع بالحياة. إذ يعيش في مخاوف مستمرة. ماذا لو فقدت صحتي مثلاً؟ فقدت عملي؟ خسرت تجارتي؟ ما هو المستقبل إذا فشل ابني؟ كما أن وسائل الإعلام تطالعنا بأخبار الحوادث والقتل أثناء النشرات الإخبارية. فيعج الخوف في قلبك وتكثر التساؤلات ماذا لو أو ماذا إذا.... والمخاوف غدت جزءاً من نسيج الإنسان تهاجمه من داخله ومن خارجه. والخوف كما قال أحدهم هو سجن يفرضه الشخص ذاته على نفسه، فيمنعه من أن يصير الشخص الذي يجب أن يكون. ويعيش الكثير من الناس في خوف نتيجة لتجربة مؤلمة أو تطلعات غير واقعية، أو بسبب تربية في بيت مسيطر، أو حتى بسبب استعداد وراثي. وإن الأشخاص المنقادين بالخوف يفقدون غالباً فرصاً عظيمة بسبب خوفهم من المجازفة.

هل تتعرضين للخوف يا سيدتي، وهل تعرّضين بذلك أولادك له؟ أو بالأحرى هل يرى أولادك الخوف في وجهك، في عيونك في تصرفاتك في حرصك الشديد عليهم؟ هناك الكثير من السيدات خاصة في عالمنا هذا ممن يعشن حياة كلها خوف وارتباك وحذر ويصل بهن الخوف أحياناً إلى الرعب لا بل الذعر. لكن السؤال الآن هو: ماذا كانت مخاوفك في وقت الطفولة؟ وما هي مخاوفك الآن؟ هل تشعرين مثلاً بالخوف على أولادك؟ وهل تريدين حمايتهم من كل خطر فتبتقين إلى جانبهم ولا تدعيهم يتحركون أو يخرجون أو يرون أحداً خوفاً عليهم؟ ثم هل تشعرين أنت شخصياً بعقدة الذنب؟ أو الفوبيا أي الخوف من الأماكن العالية؟ أو هل تخافين من الموت؟ أو تخافين البشر القساة الذين يهددون ويتوعدون؟ وما هو تأثير هذه المخاوف عليك اجتماعية، ذهنياً وروحياً أيضاً؟

هل فكرت في كل هذا يا سيدتي؟ الخوف يا سيدتي يسلبك متعة الحياة. أو يجعلك تعتمدين على شيء أو تتعلقين بشخص تعلقاً غير صحي. أو يجعلك تتعبدين لله بصورة خاطئة أي خوفاً من غضبه وعقابه. كما أن الخوف يا سيدتي يحدث تباعداً بينك وبين الآخرين علّهم يجرحوك مرة أخرى. والآن يا سيدتي كيف تستطيعين أن تهزمي الخوف في حياتك؟ طبعاً الخوف غير الصحيح!.

ألا تلاحظين معي سيدتي أن الخوف يبدأ في التفكير؟ لذا فعليك أن تغيّري أسلوب تفكيرك أولاً فيتجدد ذهنك . لقد مرّ الكثيرون قبلك وعلى مر العصور والأجيال بمرحلة الخوف التي شلّت تفكيرهم وإرادتهم، فطلبوا النجدة والخلص من الرب القدير. وحتى رجال الله الأتقياء لم ينجوا من هذه المحنة الصعبة فنسمع صاحب المزامير النبي والملك داود قديماً يقول: " الرب نوري وخلصي ممن أخاف؟ الرب حصن حياتي ممن أرتعب؟ عندما اقترب إلي الأشرار ليأكلوا لحمي مضايقي عثروا وسقطوا. إن نزل علي جيش لا يخاف قلبي . إن قامت علي حرب ففي ذلك أنا مطمئن". ترى، هل جربت مرة صديقتي المستمعة الاتكال على الرب ؟ وهل اختبرته في حياتك كالحصن والملجأ كما اختبره داود النبي فكتب عنه؟ حتى في أعز الأحوال استطاع أن يختبر حماية الرب له وحفظه إياه. فهل تضعين ثقتك بالله العلي القدير لأنه وحده الحي والقادر أن يمنحك السلام والطمأنينة. ويقول أيضاً النبي داود واصفا حالته الصعبة في مرة أخرى هذه الكلمات: اكتفتني حبال الموت وسيول الهلاك أفرعتني. في ضيقي دعوت الرب وإلى إلهي صرخت. فسمع من هيكله صوتي وصراخي قدامه دخل أذنيه... وأما في مكان آخر فنسمعه يقول: في يوم خوفي عليه أتكل... فهل جربت الاتكال الكلي على الرب يا سيدتي؟

إن العالم يا سيدتي وعلى الرغم من التقدم الذي أحرزه إلا أنه ما يزال عاجزاً عن توفير الأمن والطمأنينة للإنسان. لكن الله بنفسه يتصدّى للمشكلة إذ جعل من نفسه الحصن الحصين والملجأ الأمين يحتمي به الإنسان فيجد فيه الأمان والسلام. كما يعطينا الله في شخص المسيح الأمان. كيف؟ الأمان بأن خطايانا مغفورة، فلا نعود نقع تحت عقدة الذنب ومخاوف الشر والعقاب، بل إن تقننا بوعوده الصادقة بأن كل من يؤمن به لا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة. هذه الوعود الصادقة تمنح كل شخص تائب الغفران الكامل عن خطاياها. عندها نتمسك بوعوده كمرساة لنفوسنا.

وأخيراً عندما يعيش الإنسان في كنف القدير مسلماً نفسه وروحه وجسده بين يديه، يعيش في سلام وطمأنينة. تماماً كما قال صاحب المزامير في المزمور الحادي والتسعين: الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت. أقول للرب ملجأ وحصني إلهي فأتكل عليه.... لا تخشى من خوف الليل ولا من سهم يطير في النهار ... لأنك قلت أنت يا رب ملجأ جعلت العلي مسكنك لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك.... هذه هي مواعيد الله الصادقة لكل من يثق به ويؤمن بكلمته المقدسة ويسلم حياته بالكلية له. فهل اختبرت صديقتي المستمعة هذا السلام وهذه الطمأنينة التي يمنحها الله تعالى لأولاده الحقيقيين؟

\*\*\*\*\*